[٤]

حين تبدأ غربة العربي
تنتهي غربة اليهودي

● لم يكن اهتمام الاسرائيليين ببعض نواحي الادب العربي مفاجئا ، ولكنه يأخذ طابع الاعلان كلما ارتبط الامر بنبأ سياسي ، فتتحدد ميزة هذا الاهتمام بمزيد من الوضوح والاختصاص . وعلى سبيل المثال ، ما كان الاسرائيلي العادي يعرف شيئا عن أدب المقاومة العربي ، حتى اجتمع وزير الدفاع الاسرائيلي بشاعرة مقاومة فلسطينية، وفسر هذا اللقاء بأنه سعي منه ومحاولة لدراسة نفسية المقاتل الفلسطيني عن طريق الشعر الذي يهزه ويحركه . وكانت « محاولة » ديان بمثابة ضوء أخضر لخبراء الشؤون العربية واللغة العربية لترجمة ودراسة بعض الانتاج الادبي ، الفلسطيني والعربي ، فأخذ هذا الاهتمام طابع الضجة والتعميم . وبلغنا ، في الاسابيع الاخيرة ، أن وزيرا اسرائيليا آخر هو يغال ألون يدلي بدلوه في بئر الادب العربي ، فقد شكل لجنة خاصة لبحث الادب العربي في اسرائيل . ولعل مبادرة ألون هي أول مبادرة نحو طرح قضية الادب العربي الذي يكتبه ادباء الارض المحتلة منذ النكبة الاولى ، لان معظم الاهتمامات الاسرائيلية السابقة بالادب العربي كان يستثني الادب العربي المكتوب داخل اسرائيل ، لان تعميم قضية هذا الادب وجوهره على الرأي العام الاسرائيلي قد يطرح تساؤلات تمس الاعمدة الاساسية للدعاية الاسرائيلية الداخلية التي تتنافى مع قضية هذا الادب . ومن الواضح ان الوزير الاسرائيلي بتشكيله هذه اللجنة لن يبحث قضية الادب الحقيقي في الارض المحتلة الذي تعارف الناس على تسميته بأدب المقاومة ، ولكنه سيطرح ويعمم ادبا اخر في مواجهة الادب الذي عرفه العالم العربي واوساط واسعة من الرأي العام العالمي بعد ترجمة نماذج كثيرة منه الى اللغات العالمية . ان ألون يريد ان يصد تأثير أدب المقاومة وسمعته العربية والعالمية بالقول انه ليس الادب العربي «الاسرائيلي» الشائع ، بل ان ثمة أدبا آخر «ايجابيا» و«بناء» يتعايش بسلام مع نمط الحياة الاسرائيلية . اي — انه يسعى الى ضرب تيار « أدب المقاومة » بتيار « أدب الاستسلام » . وربما يمكن القول ، منذ الان ، ان الوزير الاسرائيلي الجنرال يغال الون الذي يحمل عقلية عسكرية لن يتمكن من خلق « أمر واقع » أدبي ، كما استطاع ان يخلق أمرا واقعا عسكريا . وقد ينصحه مستشار ذكي بالكف عن هذا الطموح الطائش ، لان الجيش الذي يستطيع احتلال ارض واقامة مستوطنات عليها لن يستطيع ان يقيم تيارا ادبيا يتلاءم معه حتى باستخدام العنف .

● ليس الوزراء الاسرائيليون ، وحدهم ، هم الذين يهتمون بالادب العربي ، فهنالك اساتذة جامعة وكتاب اسرائيليون يمارسون اهتمامات ادبية عربية . وقد اصدرت دار النشر التابعة لـ « هشومير هتسعير » مؤخرا مجموعة مختارات من القصص والقصائد العربية مترجمة الى اللغة العبرية ، تطرح عدة اسئلة حول نظرة الاسرائيلي الى هذه المختارات ، هل يقبلها الاسرائيلي اولا ؟. وهل يقدر على التزام النظرة الادبية الى الادب العربي ؟ ماذا يعنيه في هذا الادب .. هل البحث عن نفسه ام عن نفوس الاخرين ؟. ثم ، ما هو الرأي الاسرائيلي المسبق عن الادب العربي ؟. سنفاجأ بعد قليل بمعرفة ان الاسرائيلي يشك بوجود ادب عربي .

هذه الاسئلة وغيرها نوقشت في ندوة خاصة دعا اليها الملحق الاسبوعي لصحيفة « عل همشمار » واشترك فيها عدد من الباحثين الاسرائيليين في الادب العربي ، واثنان من المثقفين العرب . (في أواخر نيسان الماضي) .

الجنرال الاحتياطي ، ماتي بيلد ، المهتم بالادب العربي يواجه الندوة بهذا السؤال : هل يوجد أدب عربي حديث ذو مستوى ادبي بارز ؟..

ان السؤال كبير ، خاصة اذا كانت مصادر الاجابة عليه محصورة في مجموعة مختارات واحدة لا نعرف ما تضمنته من النماذج الادبية العربية . فمن نافل القول ان الحكم على ادب شعوب من خلال نص أو مصدر واحد هو حكم بعيد عن التواضع النقدي وعن الاخلاق النقدية على الاقل .

وقد اقترب احد المثقفين العرب المشتركين في الندوة من الحقيقة حين قال : « ان الاسرائيليين يهتمون، بالدرجة الاولى ، بالادب الذي يعالج موضوع العلاقات بين العرب واليهود . ومن هنا ، نشأت